

الشعر المصري في مائة عام

للاستاذ سيد كيلاني

الحالة السياسية والاجتماعية والفكرية

من ١٨٨٢ - ١٩١٩

- ٦ -

احتل الإنجليز البلاد المصرية في عام ١٨٨٢ م فبدأ بذلك عهد جديد أخذ المصريون فيه إلى الهدوء والسكينة ، وأخذت الحالة المالية تتحسن يوماً بعد يوم ، فعم الرخاء واستتب الأمن وانتشرت الطمأنينة وساد العدل وسارت البلاد في طريق التحضر بخطى واسعة . وأقبل المصريون على التعم فكثر المدارس والمطابع والمصحف والمجلات . وراجت سوق الكتب ، وجد الناس في طبع الكتب القديمة وترجمة روائع الأدب الغربي ، وشعر الجميع بمعجز اللغة العربية وقصورها عن مسايرة النهضة العلمية الحديثة . ففكروا في إصلاحها واختلقوا في طريقة الإصلاح . وقد ظهر أثر تلك الحركة عند الشعراء ، فنظم حافظ إبراهيم قصيدة على لسان اللغة العربية قال فيها .

أنا البحر في أحشائه الدر كامن فهل سألوا الغواص عن صدقاتي
ثم أخذ الروح الوطني في الظهور والنمو حتى جاء مصطفي كامل
فالتف حوله الشبان والشيوخ ، وازدهرت الصحف الوطنية وجدت

تدير شؤون الفرد إلى تدير شؤون الدولة .

(٤) والعلم النظري أشرف من العمل لأنه يراد به كمال العقل الانساني . كما أن العلم العمل أشرف من الفنى لأنه يدبر أمر الإنسان ويتعلق به بينما يعمل الفن في الأشياء والمحسوسات . وذلك بعض ما نجد في فلسفة أرسطو في ترتيب وأنظام ومذهبية .

وإنك بعد هذا الجدير بأن تقدم على قرائه أرسطو وتحليله
سمى بأفنى أوسع وفهم جديد ، حين تلتقى مرة ثالثة في الحديث
المقبل إن شاء الله .

كمال دسوقي

الكتابة فيه ؛ والذي يعنى الفكر الإنساني عالة عليه مها جدد
أو تقدم .

ولن يعسر عليك - بعد إذ وقفت على تصنيف كتب أرسطو
أن تبين موضع الأخلاق في لوحة العلوم وقائمة المعارف عنده ، لما
هنالك من تقارب كبير بين تقسيم العلوم عنده وتصنيف الشراح
لكتبه . فإن العلم ينقسم عند أرسطو - باعتبار الثابتة التي يؤدي
إليها - إلى نظرية ، وعمل .

فالنظرية غايته العلم والمعرفة لذاتها ابتغاء الوصول إلى الحقيقة .
فإن تعلق العلم والمعرفة بوجود هو مادة وحس وحركة فهو
العلم الطبيعي ، وإن تعلق بوجودات مجردة عن هذه ولكنها كم
ومقدار فهو العلم الرياضي . وإن كانت مطلقة التجريد عن ذلك كله
فالعلم الإلهي أو الميتافيزيقا .

أما العلم العملي فليس الغرض منه مجرد الوقوف على الحقيقة
أو الحق *le vrai* وبالإنجليزية *truth* أعنى العلم للعلم والمعرفة لذاتها
كالم النظرية ، بل يتجاوز ذلك إلى العمل والتدبير . فموضوعه
الخير *le bon* وبالإنجليزية *goodness* فإن كان الخير الذي تنشده يتعلق
بالإنسان وحده وفي ذاته فذلك علم الأخلاق . وإن تعلق بأسرته
ومن ياملهم من أهله فذلك تدبير المنزل ؛ وإن امتدلتناول تدبير
أمور المملكة أو الدولة جميعها من حيث هي مجموعة فذلك علم
السياسة .

أريت إذن ابن بضع أرسطو علم الأخلاق من لوحة علومه ؟
هو أول العلوم العملية التي تدبر أمر الإنسان بما هو إنسان . فإن
شئت بعد هذا أن ترجع معي إلى هذا التصنيف الذي توسع به
فلاسفة العرب ونقله منهم الفارابي وابن سينا وغيرهم ، فلاحظ
ما يأتي :

(١) لم يدخل أرسطو في هذا التصنيف علم المنطق لأنه اعتبره
مدخلا ومقدمة كما قلنا . وإنما أحل محله العلم الرياضي بعد أن قدم
عليه الطبيعي ، وأن لم يؤلف هو في الرياضة كتباً مستقلة .

(٢) أن العلوم النظرية تتدرج حسب نزوعها إلى التجريد -
فالمتافيزيقا أرقها ، ولهذا يسميها العرب العلم الأول (الطبعيات)
والأوسط (الرياضيات) والأعلى (الإلهيات) .

(٣) والعلوم العملية تتدرج من الوحدة إلى الكثرة ومن

والذى لاشك فيه أن الأحوال المالية قد تحسنت كثيرا في عهد
كرومر ، واستتب الأمن ، وساد العدل وانتشرت الطمأنينة وعم
الرخاء . وفي ذلك يقول حافظ

سنطرى أياديك التي قد أفضتها علينا فلمنا أمة تججد اليدا
أمتا ، فلم يسلك بنا الخوف مسلكا ونغنا ، فلم يطرقت لنا الذممر قددا
و كنت رحيم القلب تحمي ضيفنا وتدفع عنا حادث الدهر إن عدا

على أن المصريين قد اختلفوا في الحكم على كرومر . فمن نظر
إلى نمو الموارد المالية على يديه وتقدم حركة العمران مدحه وأثنى
عليه . ومن نظر إلى الأحوال السياسية وتخلف الشعب المصرى
عن غيره من الشعوب الناهضة في ميدان السياسة والعلم ، وتمتع
الأجانب بحل خيرات مصر ، وانتشار الشركات الأوربية في طول
البلاد وعرضها ، وإيمانها في النهب والسلب - من نظر إلى هذه

الأحوال قدحه ونى عليه . وفي ذلك يقول حافظ

تسببت الآراء فيك فقاتل أفاد الفنى أهل البلاد وأسعدا
وكانت له في المصلحين سياسة ترخص فيها تارة وتشددا
رأى المزكل المز في بسطة الفنى فخارب جيش الفقر حتى تبيدا
إلى أن قال :

وآخر لم يقصر على المال هم يرى أن ذلك المال لا يكفل الهدى
فلا يحمد الإجراء حتى يزينه بعلم وخير العلم ما كان مرشدا
يتاديك قد أزويت بالعلم والحجا ولم تبق للتعليم بالورد مهدا
وأنتك أخصبت البلاد نعمدا وأجدبت في مصر العقول نعمدا
قضيت على أم اللغات وإنه قضاء علينا أو سبيل إلى الردى
ووانيت والقطران في ظل راية فنا زلت بالسودان حتى تمردا
فظاح كما طاحت (مصوع) بعده وضاعت مساعينا بأطما عم سدى

ففي هذه القصيدة تتبين رأى حافظ في كرومر ، ثم رأى الناصرين
لسياسة هذا العميد ، ثم رأى الناقلين على هذه السياسة وهم من
الحزب الوطنى . والملاحظ هنا أن قصيدة حافظ في وداع كرومر
كانت هادئة . والسرى ذلك أن حافظا كان تلميذا ل محمد عبده
الذى كان صديقا حميا لكرومر يستنجد به ضد الخديو عباس .

أما قصيدة شوق فقد بلغت الناية في المنف . ذلك لأن شوق كان
شاعرا الخديو الذى كانت بينهما وبين كرومر عداوة شديدة . وللكاشف
قصيدة لا تنقل روعة وغنا من قصيدة شوق ومطلها :

في مهاجة المحتلين . وسام الشراء في تلك الحركة فنظمو القصاد
الحاسية في تحريض الوطنيين على الجهاد والكفاح ، وفي هجاء
الإنجليز وكل من يتعاون معهم من المصريين ، وكان لورد كرومر
- وهو أول معتمد بريطانى في مصر - قد وضع في يديه مقاليد
الحكم بصرف الأمور كيف يشاء وفقا لمصلحة المستمر التى لم
تكن متفقة مع ما يصبو إليه المصريون من الرغبة في الاستقلال
والتمتع بالحكم الثيابى ، ونشر التعليم بجميع أنواعه بين أبناء البلاد
والظفر بحرية الصحافة والخطابة وغيرها من أنواع الحريات . لذلك
انحنت سياسة لورد كرومر التى لم تتمش مع هذه الرغبات الوطنية -
موضما لهجوم شديد ، وتقد عنيف من الكتاب والشراء .
ونظمت في عصر ذلك الرجل كثير من القصائد الفياضة بالمواطن
الوطنية الصادقة .

وفي عام ١٩٠٦ وقعت حادثة دنشواى المشهورة فهاجت الخواطر
واشتد الحنق على المحتلين . وأخذ الشعراء ينظفون القصاد في البكاء
على ما أصاب تلك القرية والشهير بالإنجليز . فلهشوق قصيدة
مطلها :

يادنشواى على رباك سلام ذهبت بأنس ربوعك الأيام
ولحافظ ابراهيم قصيدة جاء فيها .

ليت شمري أتلك محكمة التفتيش عادت أم عهد نيرون عادا
كيف يجلو من القوى التثقي بضميف ألقى إليه القيادا
إنها مثلة تشف عن الفسى : ظ ولنا لفيظكم أندادا
وقال اسماعيل صبرى من قصيدة ينوه فيها بمفوق الخديو عباس

عن المسجونين من أهل دنشواى

وأقلت عثرة قرية حكم الهوى في أهلها وقضى القضاء الأخرق
إن أنت فيها بأنس مما به وأرن جاوبه هناك مطوق
وارحمى لجناتهم ماذا جنوا ؟ وقضاتهم ما عاقهم أن يتقوا
وفي عام ١٩٠٧ عزل لورد كرومر من منصبه ففرح بذلك
الوطنيون فرحا عظيما ، وقد عبر الشعراء عن ذلك الفرح .

قال شوق من قصيدة طريلة

لما رحلت عن البلاد تشهدت فكانك الداء المياء رحىلا
وقال الكاشف

وتنفس الصعداء شرب حامل هما يضيق به الفضاء الأرحب

أصداء

للاستاذ كامل محمود حبيب

إلى اخوان الذين جئوني بالحبّة والثقة على حين قد شطت
الدار وبعد الزار (كامل)

قرأت في العدد ٨٦٠ من الرسالة الثراء رسالة من الأستاذ
محمود الطاهر الصافي برمل الأسكندرية إلى يقول فيها « .. وبعد
فاني اعلم أنك كنت سديقاً لإمام الادب وحجة اللغة ، عبقرينا
الرافعي - لهذا أرى أن للمربية حقاً عليك تؤديه بعمل تنشر به
للرافعي ذكراً جديداً ، تلفت إلى أدبه (الباعت لأمة) . وأقترح
أن يسكون هذا العمل كما يأتي . -

أولاً . - جمع ما أثنى به الكتاب والمطالع على الرافعي ، وهو
شيء كثير يؤلف مجلداً ضخماً أو أكثر ، وما رأيت أحداً أثنى
عليه بمثله وفيه أبلغ القول وأجمله
« ثانياً ، - جمع كل ما عرف له من شعر ونثر ، والمبالغة في
هذا الجمع حتى لا يفتت مما أثر عنه شيء . -

« ثالثاً . - السعي لإنشاء كرسى لأدبه في الجامعة ، فها هو
بأقل من شوق ، ولا منزلته بأقل من منزلته ؛ بل له ميزة لم يشاركه
فيها أحد ، وهي الزامه نفسه بالأبكتب - وما أدراك ما كتابته

هلا بدا لك أن نجامل بعد ما صاغ الرئيس لك التنا إكليلا
انظر إلى أدب الرئيس ولطفه تجد الرئيس مهذباً ونبيلاً
في مامب للمضحكات مشيد مثلت فيه المبكيات فصولا
شهد (الحسين) عليه لمن أصوله وتصدر (الأعمى) به تطفيلاً

والحسين هو حسين كامل . والأعمى هو الشيخ عبدالكريم سليمان
أحد علماء الأزهر . وقد كان علماء الأزهر يميلون إلى كرومر لما
عرف عنه من صداقته لاستاذهم الشيخ محمد عبده . وقد أهتم شوق
في هذه القصيدة بالدفاع عن جد الخديو عباس إرضاء للخديو
من ناحية ، ومن ناحية أخرى وفاة للخديو اسماعيل الذي ولد
ببابه كما قال

أخون اسماعيل في أبنائه واتد ولدت بباب اسماعيل

سبر كيموني

أعبي عزائمك القضاء الأغلب وطوى صهيفتك الزمان القلب
ومنها :

أنسيت محنة مصر في سودانها أيام هام الجيش فيه يهذب
أهملته حتى إذا فتكروا به أمسى فؤادك جرة تطلب
ومنها . وفيه إشارة إلى إتفاقية الحكم الثنائي في السودان بين
مصر وبريطانيا :

غافلهم حينما فلم يلفتوا إلا ونابك فيهم والمخلب
لولا خسرور وزارة عيابة لم يستقم لك في السياسة شرب

أما رأى الناصرين لسياسة كرومر والمبذبن لها ، فقد جهل لواءه
الشاعر أحمد نسيم الذي استؤجر للتغني بمناقب الإنجليز وفضائلهم
وله قصيدة مدح بها لورد كرومر وودعه حينما رحل عن البلاد ،
ومطلها :

يا منقذ النيل لا يندمي لك النيل بدأ لها من فم الإصلاح تمثيل
إنا نودع فيك العرف أجمه وما لنا غير حسن الصبر تعليل
ومنها :

جملت مصر بلاد أمطرت ذهباً فتربها بمذاب التبر مبلول
خلقتها ويد الإسماد تكلفها داراً عليها من النعمى سراويل
حلت فيها وغل الجور مقعدا ذلاً وفارقتها والجور مغلول
وكتت ملجأها أيام نكبته وللحوادث بابن النيل تنكيل
سنت العباد بأمر ليس ينفسه ناه تحقق أن الأمر مفسول
وقد رفقت من الإصلاح ألوية لها رواق على الأصقاع مسدول
وقت بالأمر حتى مالنا طلب يرجى وأنت أمام الله مسؤول
وكان مصطفي فهمي رئيس النظار وقتئذ قد أقام حفلة تكريم

للورد كرومر بمناسبة سفره إلى بلاده . وفي هذه الحفلة خطاب رئيس
النظار فاطرى كرومر وأثنى عليه . فهب الشمراء بنمون على مصطفي
فهى ما فعل ، ويتناولونه بالنقد والتجريح . ثم خطاب لورد كرومر
في هذه الحفلة فأهان المصريين ورمم بالتمصب وتكران الجليل ،
وعرض بالخديو اسماعيل ترميضاً شديداً . وكان الأمير حسين كامل
(السلطان حسين) حاضراً فسمع ما قيل في أبيه من الشتائم والسيباب
وقد ظهر أثر ما حدث في هذه الحفلة عند شوق حيث يقول .

أوسعتنا يوم الوداع إهانة أصب لمرك لا يصيب مثيلا